عواقب العدوان الثلاثى
على مصر

د. عبد المنعم ابراهيم الجميعى

فى التاريخ أيام تجئ وتذهب، وبعضها يجئ ولا يذهب .. والأيام التى تجئ وتذهب تتحول إلى ذكريات، والأيام التى تجئ ولا تذهب تتحول إلى دروس، ومعركة تأميم قناة السويس كانت درسا لا نهاية له.

لقد انتهت حرب العدوان الثلاثى على مصر بفشل العملية الحربية "موسكيتير" المعدلة التى قادها الجنرال الانجليزى تشارلز كيتلى وهزيمة المخطط المرسوم للغزو باحتلال القناة واخضاع مصر خلال أيام قليلة، وإقصاء الرئيس عبد الناصر عن الحكم، ومنعه من السيطرة على القناة[1] ، فور بدء العمليات، وتكوين حكومة صديقة للغرب تبارك الغزو وتبدى استعدادها لقبول تسوية دولية جديدة لإدارة قناة السويس، وحتى يتم فرض الأمر الواقع دون إثارة أى مشاكل عالمية خاصة بعد أن راهن إيدن وقادة العدوان على أن الشعب المصرى سيثور على عبد الناصر، ولكن ما حدث أنه نتيجة لتدفق المشاعر الوطنية لدى الشعب المصرى على نحو غير مسبوق، وللمقاومة المصرية الباسلة التى صنعت ملحمة وطنية رائعة، ونتيجة للضغط الدولى المتمثل فى نجاح عبد الناصر إلى حد كبير فى جذب أنظار العالم نحو حق مصر فى تأميم القناة، وبسبب الإنذار السوفيتى الذى وجهه الرئيس الروسى "بولجانين" لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل، ونظرا لمعارضة الرئيس ايزنهاور للغزو نتيجة لأنه لم يستشر فى الأمر، ومطالبته بانسحاب الدول المعتدية. ونتيجة لموقف الجماهير العربية التى هبت مؤيدة لمصر والتى عبرت عن ذلك بالمظاهرات ومهاجمة الدول المعتدية فى

الصحف والاذاعات، وقيام عمال سوريا بتفجير أنابيب البترول التى تحمل الطاقة إلى أوربا وأمريكا.[٢]

ونتيجة أيضا لموقف دول عدم الانحياز المؤيد لمصر وحقوقها فى تأميم القناة حيث لعبت الهند دورا مهما من خلال الاتصالات بين رئيس وزرائها جواهر لال نهرو وبين قادة العالم، وقيامه بشجب العدوان هذا إلى جانب تحركات وزير الخارجية كريشنامينون ورحلاته المكوكية.

ونظرا لكل ذلك اتخذت الأمم المتحدة قرارا فى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ بانسحاب المعتدين فورا من مصر، وإزالة الآثار التى خلفها العدوان[٣]، مما حقق لمصر نصرا سياسيا مؤزرا، وحطم أهداف المعتدين الاستراتيجية فقد خرجت مصر من محنة العدوان أكثر قوة على الرغم من محاولات الدول المعتدية تحطيم معنويات الشعب المصرى وتفتيت قواه عن طريق حربها النفسية من خلال إذاعة صوت بريطانيا فى قبرص، وتوزيع المنشورات وتفتيت وحدة الشعب، والعمل على إحداث شقاق فى صفوف القوات المسلحة وبين هذه القوات والشعب وتحررت مصر من شبهة التحالف مع الغرب بعد أن ألغت اتفاقية الصداقة والجلاء المعقودة بينها وبين بريطانيا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ والتى كانت تنص على التعاون مع بريطانيا عسكريا كما أنها استردت كافة حقوقها بينما خرجت قوات العدوان مدحورة بعد مغامرتها الفاشلة وضاعت هيبتها فقد ارغمت بريطانيا على الانسحاب من بورسعيد وتأثر اقتصادها بسبب نضوب البترول الوارد إليها واضطرارها لتوزيعه بالبطاقات نتيجة لنسف بعض أنابيب بترول الشرق الأوسط، وعدم مرور ناقلات البترول فى القناة نتيجة لاغلاقها مما اضطرها إلى توزيعه بالبطاقات[٤]، وإلى تحميل الخزانة البريطانية عبئا ثقيلا بسبب نفقات الحرب مما تسبب فى تدهور الاقتصاد البريطانى، وإلى جانب ذلك فقد خسرت

بريطانيا قاعدة قناة السويس ومخازنها فى القاعدة بما احتوته من معدات كما خسرت هيبتها ونفوذها فى المنطقة بعد الغاء اتفاقية الصداقة المعقودة بينها وبين مصر، وأخذت فى فقدان مراكزها الواحدة تلو الأخرى لدرجة أنها قررت نقل قيادة قواتها فى الشرق الأوسط من قبرص إلى كينيا، كما قررت الجلاء عن الأردن، وتخفيض عدد قواتها فى قبرص وليبيا[٥] ، وهكذا تسببت حرب السويس فى قطع ذيل الأسد البريطانى وكسر أسنانه وبدأ يلملم بقاياه من مستعمراته ويرحل.[٦]

وبالنسبة لفرنسا فقد تسببت حرب السويس فى إضعافها وكسر شوكتها وعنجهيتها فقد أرغمت على الانسحاب من بورسعيد وفقدت ممتلكاتها وأموالها فى مصر وتأثر نفوذها الثقافى فى المنطقة العربية، كما ازدادت مساندة مصر للثورة الجزائرية وانطلق التعاون بينهما إلى اقصى حد حتى كان جلاؤها عن الجزائر في سبتمبر ١٩٦٢ التى كانوا يعتبرونها جزءا من فرنسا كما أنسحبت من تونس ومن بلاد أخرى فى افريقيا وغيرها حيث اشتدت عزائم الثوار فى مستعمراتها حتى تحقق لهم الاستقلال كما انتهى المستقبل السياسى لرئيس وزرائها جى موليه.[٧]

أما اسرائيل التى دخلت المعركة لاستدراج الجيش المصرى داخل أعماق سيناء لقلب إتزانه الاستراتيجى، وإيجاد حالة فراغ تجعل احتلال منطقة القناة سهلة أمام القوات الانجليزية والفرنسية[٨] ، فيبدو أنها كانت الرابح الوحيد من الدول المعتدية فقد ابتزت فرنسا لتساعدها فى إنشاء مفاعلها النووى كما أنها حققت بعض المكاسب من هذا العدوان كان أهمها فتح خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية مما جعل لها مخرجا على البحر الأحمر بالإضافة إلى مرابطة قوات طوارئ دولية على الجانب المصرى من الحدود.

ومع أن مصر رفضت السماح لاسرائيل بمرور سفنها فى قناة السويس فان فرنسا تولت مساعدة اسرائيل بإنشاء خط أنابيب من إيلات على رأس خليج العقبة إلى بئر السبع ومنها إلى حيفا بقصد نقل البترول الخام الوارد من حقول الخليج العربى الذى تستغله الشركات الغربية إلى اسرائيل كبديل لها عن حرمانها من مرور سفنها بقناة السويس، وتشجيع صناعة تكرير البترول فى إسرائيل. (٩)

وبالنسبة لمصر فقد كانت معركة السويس بؤرة تركيز تجمعت فيها كل أمانى مصر فى الاستقلال الوطنى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتوحد مع عالمها الذى تنتمى إليه وفيها اكتشف الشعب المصرى طاقاته وإلى جانب ذلك فان أهم ما تمخضت عنه حرب السويس من نتائج بالنسبة لمصر زيادة مكانتها، ورفع رصيدها السياسى بين دول العالم، وبروز مكانة عبد الناصر فى العالم العربى وبين دول عدم الانحياز كبطل قومى، وازدياد شعبيته بشكل ملحوظ حيث استحوذ على قلوب الجماهير لدرجة أن ذكر اسمه كان يمس وترا سحريا فى القلوب(١٠) ، خاصة وأنه استطاع أن يبرز أمورا حساسة عند الشعب المصرى باستخدامه للرمزية الوطنية فى خطابه السياسى وجاءت المقاومة الشعبية الباسلة لتصنع تلك الملحمة التاريخية الرائعة(١١) ، فعلى الرغم من توقف عمليات القتال يوم ٧ نوفمبر فان النضال الشعبى لم يتوقف ضد المعتدين حتى خرجت انجلترا وفرنسا منسحبتين يوم ٢٢ ديسمبر ثم خرجت اسرائيل منسحبة من سيناء وغزة يوم ٦ مارس ١٩٥٧. (١٢)

وإلى جانب ذلك تحررت مصر من سيطرة رأس المال الأجنبى، وتمكنت من تحرير اقتصادها القومى، وفتح أسواق تجارية مع دول الكتلة الشرقية.

وكان من نتائج فشل العدوان بروز القومية العربية كقوة مؤثرة مما مهد الظروف لإقامة وحدة بين مصر وسورية، كما أنهت الأردن معاهدتها مع

بريطانيا، واتجهت حكومة عدن إلى قيام دولة اتحادية من المحميات الانجليزية جنوب اليمن، وإلى جانب ذلك قامت ثورة فى العراق كنتيجة مباشرة لموقف حكومة نورى السعيد من أزمة العدوان على مصر. (١٣)

وبالنسبة للاتحاد السوفيتى فقد برز دوره فى مساندة الدول المناهضة للاستعمار عن طريق تقديم المساعدات الاقتصادية والانمائية لدول المنطقة مما زاد من نفوذه فى منطقة الشرق الأوسط، وزعزعة النفوذ الغربى فى المنطقة، ومحاولات الولايات المتحدة أن ترث بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط ومحاولاتها ملء الفراغ عن طريق مشروع أيزنهاور(١٤) ، ورفض مصر لهذا المشروع، وتزعمها فكرة رفضه فى المنطقة، ومناصرتها سياسة عدم الانحياز مما كان سببا فى الصدام بينهما. (١٥)

وهكذا انتهى العدوان الثلاثى بالفشل، وترتب على ذلك العديد من النتائج التى أعادت صياغة النظام العالمى وكانت نقطة تحول رئيسية فى التاريخ الحديث كله حيث أعيد تشكيل الدور الأوربى، ودور دول عدم الانحياز فى السياسة الدولية. وإلى جانب ذلك فقد أصبحت القناة ملكية خالصة لمصر، وأصبح عبد الناصر بطلا قوميا، ورائدا لحركة القومية العربية(١٦) ، بعد أن فشلت جميع المحاولات المعادية للنيل من مصر وزعيمها وفضلا عن ذلك خرجت مصر من الأزمة بتعاطف دولى استطاع أن يخترق الرأى العام لدول العدوان ذاتها فعارضت العديد من الشخصيات السياسية والثقافية والاعلامية فى أوربا العدوان وأدركت فداحته مما كان سببا فى إزاحة العديد من القيادات السياسية المتآمرة على مصر وشعبها وقيادتها. (١٧) فقد سقط ايدن وسقط جى موليه، كما كان من أسباب وضع العالم أمام عصر جديد من تحرر الشعوب، وترسيخ النزعة الاستقلالية فى العام الثالث وهى النزعة التى قام فيها عبد

الناصر بدور كبير ومؤثر هذا إلى جانب تغيير موازين القوى العالمية حيث أفل نجم بريطانيا وفرنسا وصعد نجم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

ونتيجة لكل ذلك يمكن القول ان ملحمة السويس جديرة بأن تأخذ مكانها فى الذاكرة الوطنية، وان يتم استيعاب دروسها جيدا[١٨] ، خاصة وأنها حفرت مكانها فى التاريخ الانسانى والسياسى العالمى وصارت ملحمة يحق للأجيال الحالية والقادمة معرفتها خاصة وان البطل الحقيقى لها كان الشعب المصرى الذى وقف متماسكا صلبا ومصمما على مواجهة جبروت أكبر الامبراطوريات، ولو أنه تردد لحظة فى مواجهتها أو ضعف لحظة أو اهتز إيمانه لحظة خاصة فى الفترة ما بين ٢٩ أكتوبر إلى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ لما كانت هناك جدوى من النصر.[١٩]

وعلى أى حال فان المعارك ضد الاستعمار وقوى الامبريالية لم تتوقف بعد حرب السويس وان تغيرت أساليبها وأهدافها فجاءت حرب ١٩٦٧ ثم جاءت بعدها حرب تحرير سيناء فى اكتوبر ٧٣ ، وما زلنا نشعر بوطأة الضغوط الامبريالية والقهر الاستعمارى صباح مساء خاصة وان حركة التاريخ لا تنقطع ولم تتوقف ولا تعرف الفجوات فى مسارها.

الهوامش

(١) محمد حسنين هيكل: كيف أدار عبد الناصر أزمة معركة السويس،دراسة ضمن كتاب معركة السويس- ثلاثون عاما ، ص ٣٢- ٣٤.

(٢) حدث هذا كله رغم لجوء بعض الحكام العرب مثل نورى السعيد إلى فرض الأحكام العرفية.

(٣) المتحف الحربى بالقلعة، تقرير الجنرال كيتلى عن العمليات الحربية فى مصر، نوفمبر – ديسمبر ١٩٥٦، ص ٣٢.

(٤) فطين فريد: العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ رسالة ماجستير غير منشورة.

(٥) محمد كمال عبد الحميد: الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى، ص ٩٠٦.

(٦) الأهرام فى ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٦.

(٧) الأهرام، فى ٢٦ اكتوبر ٢٠٠٦.

(٨) هيئة البحوث العسكرية: حرب العدوان الثلاثى على مصر، ص ٨٥.

(٩) محمد كمال عبد الحميد: مرجع سابق، ص ص ٦٠٧- ٦٠٨.

(١٠) انتونى ناتج: ناصر، ص ص ٢٣١- ٢٣٢.

(١١) رءوف عباس: الدلالات التاريخية لحرب السويس، دراسة ضمن كتاب حرب السويس بعد أربعين عاما، القاهرة، مركز الدراسات السياسية ١٩٩٧، ص ٤١٦.

(١٢) الأهرام، فى ٢٦ اكتوبر ٢٠٠٦.

(١٣) فطين فريد: العدوان الثلاثى على مصر، ص ٢٥٨.

(١٤) صلاح بسيونى: مصر وأزمة السويس، ص ٣٣٥.

(١٥) فطين فريد: مرجع سابق، ص ٢٥٥

(١٦) Nutting, A: Nasser , P. 194.

(١٧) فطين فريد: الدبلوماسية المصرية وأزمة السويس، ص ٣٨٤.

(١٨) الأهرام فى ٢٧ اكتوبر ٢٠٠٦ تحت عنوان: حرب السويس لماذا نتذكرها الآن؟

(١٩) محمد حسنين هيكل: دراسة سبق ذكرها ، ص ٣٤.

مصادر الدراسة

أولا: وثائق غير منشورة:

المتحف الحربى بالقلعة. تقرير الجنرال كيتلى عن العمليات الحربية فى مصر – نوفمبر – ديسمبر ١٩٥٦.

ثانيا: وثائق منشورة:

- وثائق ندوة السويس الدولية، معركة السويس– ثلاثون عاما، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٩.
- هيئة البحوث العسكرية، حربة العدوان الثلاثى على مصر، خريف ١٩٥٦، جـ١، القاهرة، د.ت.

ثالثا: المراجع العربية والمعربة:

- أنتونى ناتج: ناصر – ترجمة شاكر إبراهيم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣.
- صلاح بسيونى: مصر وأزمة السويس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠.

- فطين أحمد فريد: الدبلوماسية المصرية وأزمة السويس، القاهرة، مطابع الشرطة، ٢٠٠٢.
- محمد كمال عبد الحميد: الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٢.
- مركز الدراسات السياسية بالأهرام: حرب السويس بعد أربعين عاما، القاهرة، ١٩٩٧.

رابعا: المراجع الأجنبية:

- Nutting, A: The Story of Suez, No end of a lesson , London, 1978.

خامسا: رسائل جامعية غير منشورة:

- فطين احمد فريد: العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، رسالة ماجستير نوقشت بآداب عين شمس.

سادسا: الدوريات:

- الأهرام، أكتوبر ٢٠٠٦.

obeikan.com